

الوحدة بين المسلمين وأثرها في مواجهة التحديات الحضارية

د. عبدالله بن إبراهيم بن علي الطريقي

مقدمة :

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. أما بعد:

فقد عاشت الأمة الإسلامية قروناً في ظل الإسلام، تهتدي بهديه، وتنهج نهجه، وتعز بالانتماء إليه، فاستحقت البقاء والتمكين والاستخلاف، وذلك مصداقاً لوعد الحق تعالى إذ يقول: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾^(١).

وبلغ الإسلام الآفاق، فانشرحت له صدور كثير من العالمين، تحقيقاً لما أخبر به النبي ﷺ بقوله: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقتها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر، والأبيض». ^(٢) الحديث.

(١) سورة النور آية (٥٥).

(٢) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الفتن ح/١٩، والترمذي في سننه: كتاب الفتن رقم ٢١٧٦، وقال: حسن، صحيح.

وكان للمسلمين من الهيبة والمكانة ما لا يمكن حده، فبنى المسلمون حضارة عظيمة، مكتملة الأسس والبناء، وسادت هذه الحضارة مدة طويلة، سارت بها الركبان، وأصبحت ملء السمع والبصر.

ثم خلفت خلوف من المسلمين، ركنوا إلى الأرض والدينا، بل ركنوا إلى الذلة والمهانة، أهمتهم أنفسهم ومصالحهم، ففرقوا المسلمين فكراً وواقعاً، وأنزلوهم هذه المنزلة المهينة: الضعف بعد القوة، والجهل بعد العلم، والتأخر بعد التقدم، والافتقار بعد الغنى، والفرقة بعد الاجتماع.

فتبددت تلك الوحدة بكل مقوماتها، وتلاشت، أو كادت، وأصبحنا كما قال حافظ إبراهيم:

لم يبق شي من الدنيا بأيدينا إلا بقية دمع في مآقينا
كنا قلادة جيد الدهر فانفرطت وفي عيون العلا كنا رياحينا
فلم نزل وصروف الدهر ترمقنا شزرا وتخدعنا الدنيا وتلهينا
حتى غدونا ولا جاه ولا نشب ولا صديق ولا خل يواسينا
ولكن المستقبل للإسلام - بإذن الله -، والمسلم لا ييأس من رحمة الله بالمسلمين، فيجمعهم بعد هذا التفرق، ويعيد لهم ذلك المجد التليد.

واقرأوا إن شئتم قول الحق تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٣٣) (١).

وفي الحديث عن تميم الداري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت وبر ولا مدر إلا أدخله هذا الدين، بعز عزيز، وبذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر.» (٢)

غير أن الأمر يحتاج إلى جهود مضيئة ومتواصلة، وإلى جهاد وتضحية. وفي الورقات التي بين يديك - أخي القاريء - لمسات خفيفة على جروح

(١) سورة التوبة آية (٣٣)، والصف آية (٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ١٠٣/٤، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤/٦: رجاله رجال الصحيح.

عميقة، وأدواء أليمة في جسم الأمة الكبير، تحاول تضميد تلك الجراح، وعلاج تلك الأدواء.

ولذا جاء العرض بأسلوب وصفي تحليلي، ذي تأصيل بناء. أقدمها للأخوة القراء، رجاء أن يجدوا فيها ما يروي غلتهم، ويساقو طموحهم.

وذلك في مبحثين:

الأول: عن الوحدة بين المسلمين. وفيه المطالب الآتية:

١ - مفهوم الوحدة وحقيقتها.

٢ - منزلتها في الشرع.

٣ - أسس الوحدة.

٤ - أهداف الوحدة.

٥ - وسائل تحقيقها.

٦ - معوقاتنا.

المبحث الثاني: في أثر الوحدة في مواجهة التحدي الحضاري. وفيه المطالب الآتية:

١ - أثرها في مواجهة التحديات الفكرية.

٢ - أثرها في مواجهة التحديات الاجتماعية.

٣ - أثرها في مواجهة التحديات السياسية.

٤ - أثرها في مواجهة التحديات المادية.

ثم خاتمة. وبعدها قائمة بأهم المصادر والمراجع. وأسأل الله التوفيق.

المبحث الأول

الوحدة بين المسلمين

المطلب الأول

مفهوم الوحدة وحقيقتها

إذا رجعنا إلى الأصل اللغوي للفظه الوحدة وجدناه يعود إلى معنى الانفراد، تقول: وَحَدَ يَحْدُ وَحْدًا ووَحُودًا وَحْدَةً وَوَحْدَةً: أي بقي منفرداً^(١).

ومنه: اتحد: أي انفرد، والشيئان أو الأشياء: أي صارت شيئاً واحداً^(٢)، وكل شيء على حدة: أي متميز عن غيره^(٣).

ويقصد بالوحدة بين المسلمين، أو الوحدة الإسلامية: اتحاد الشعوب المسلمة فكرياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً.

والعلاقة بين هذا المعنى الاصطلاحي والمعنى اللغوي: الالتقاء على معنى الانفراد.

فإذا كان معنى وحد: انفرد. فهذا المعنى موجود في المعنى الاصطلاحي، أي أن الأمة المسلمة باتحادها تكون منفردة عن الأمم الأخرى، متميزة عنها.

وإذا كان ذلك هو المفهوم بإجمال، فإن الأمر يحتاج إلى مزيد بيان لحقيقة الوحدة وطبيعتها.

وذلك يظهر من خلال إبراز عناصرها ومقوماتها، وأظن أنها في جملتها تعود إلى أربعة أشياء:

(١) القاموس المحيط: باب الدال، فصل الواو، مادة الواحد.
(٢) المعجم الوسيط ص ١٠١٦، وينظر أساس البلاغة للزمخشري ص ٤٩٣
(٣) المصباح المنير ص ٦٥٠ مادة (وحد).

الأول: الفكر والاعتقاد

فأما الفكر: فمدلوله اللغوي الأصلي: تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني^(١)، أو كما يقول الراغب: الفكرة: قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكير: جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان^(٢).

وفي العصر الحديث صار له معنى أوسع. قال في المعجم الفلسفي: «الفكر - بوجه عام - جملة النشاط الذهني، من تفكير، وإرادة ووجدان، وعاطفة»^(٣). ولذلك فقد عَيِّنَتْ هنا بالفكر: الجانب العقلي من الإنسان، وهو التعليم والتربية، والتفكير.

وأما الاعتقاد: فهو عقد القلب على الشيء، وإثباته في نفسه^(٤)، وهو مأخوذ من العقد، وهو: الشد^(٥).

لذلك فقد عَيِّنَتْ - هنا - بالاعتقاد: الجانب القلبي من الإنسان، على أنه قد أصبح لفظ الفكر يطلق مراداً به ما يشمل جانب العقل والقلب. وهو ما أريده عند الإطلاق في هذا البحث.

الثاني: الاجتماع

وهو المتصل بالحياة الاجتماعية: (الأسرية، والقبلية، وأفراد المجتمع، مهما صغر أو كبر) وعلاقات بعضها ببعض، وما يتبع ذلك من مظاهر وتقاليد.

الثالث: السياسة:

وهو ما يتصل بنظام الحكم والإدارة، والعلاقات السياسية^(٦)

(١) المصباح المنير ص ٤٧٩

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٣٨٤

(٣) المعجم الفلسفي ص ١٣٧

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف ص ٧٥

(٥) القاموس المحيط، باب الدال، فصل العين ص ٣٨٣

(٦) انظر في تعريف السياسة: القاموس السياسي ص ٢٨٧

الرابع : الاقتصاد :

وهو ما يتصل بالجوانب المادية كلها ونظمها^(١)

فإذا توافرت هذه المقومات في أمة صح أن يقال : بأنها أمة متحدة، أما إذا افتقدت فلا يمكن أن تكون ثمة وحدة. فإن اختل بعضها حصل من التنافر بقدر ذلك الخلل.

على أن المقوم الثالث له جانب من التأثير الفاعل دون شك، بحيث يستطيع أن يوفر المقومات الأخرى ويحققها ولو على المدى الطويل.

وهب أن أمة ما ذات لغات عديدة، وعادات وتقاليد متباينة، وأنماط من المعاملات مختلفة، بل وأنماط من الفكر، فإنه متى وجد النظام السياسي المحكم العادل فباستطاعته أن يزيل كثيرا من الحواجز والعوائق النفسية والدينية والاجتماعية، ويقرب بين الشعوب والقبائل، ولعل في المجتمع الأمريكي في دولة الولايات المتحدة الأمريكية أوضح مثال على ذلك. ناهيك إذا كان النظام السياسي إسلامياً، وأولو الأمر القائمون على مصالح المسلمين أقوياء أمناء، فإن مسألة التقريب وإزالة الحواجز تكون أسهل.

وفي واقع الأمة المسلمة في أكثر القرون الماضية ما يؤكد ذلك، حيث كانت تجمعهم دولة واحدة، أو دولتان، مع كثرة المسلمين، وتباعد أقطارهم، وتعدد ألسنتهم.

ولا تفوت الإشارة إلى أن هذه المقومات أو العناصر سيكون عليها مدار البحث في جملة التقسيمات الواردة فيه.

(١) انظر في تعريف الاقتصاد: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٨٤

المطلب الثاني

منزلتها في الشرع

الوحدة بين المسلمين غاية إسلامية نبيلة، وأمنية عزيزة لكل مسلم. ولذلك عني الإسلام بها أجل عناية، وشرع الأسباب الموصلة إليها، ونهى عن كل سبب يعكر صفوها ويشتت شملها. وإن مما يشير إلى تلك المنزلة الرفيعة، ويدلل على هذه العناية الجليلة: تنوع أساليب النصوص الشرعية المؤكدة على هذه الوحدة، وتشريع الأحكام المختلفة، لربط نسيجها، وإحكام بنائها.

ومن أظهر هذه الأساليب والأحكام ما يأتي:

١ - الأمر بالاجتماع والاتفاق، والنهي عن الاختلاف والافتراق: لقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١)، وقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾^(٣).

وكما في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، ولا تفرقوا.»^(٤) الحديث.

٢ - الأمر بلزوم الجماعة، والنهي عن الشذوذ، كما أوصى بذلك النبي ﷺ حذيفة بن اليمان في حديثه الطويل، حيث جاء فيه «... تلزم جماعة

(١) آل عمران / ١٠٣

(٢) الأنعام / ١٥٣

(٣) آل عمران / ١٠٥

(٤) صحيح مسلم ك: الأفضية ح / ١٠

المسلمين وإمامهم». ^(١)، وقال الترمذي: باب ما جاء في لزوم الجماعة. ثم روى حديثاً جاء فيه. «عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد». ^(٢)

وجاء التهديد لمن يفارق الجماعة كما في قوله ﷺ: «من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية» ^(٣).

وقوله: «... يد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار» ^(٤).

٣ - الأمر بالأخوة الدينية والتأكيد عليها:

قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ^(٥).

وقال: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ ^(٦). ويقول نبينا محمد ﷺ - مؤكداً قيمة الأخوة، ومستلزماتها - : «... وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره». ^(٧)

٤ - تشبيه الأمة المسلمة بالبناء المحكم والجسم الواحد.

كما في قوله ﷺ: «إن المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه» ^(٨).

(١) متفق عليه. صحيح البخاري: ك الفتن الباب (١١)، وصحيح مسلم: ك الإدارة ٥١/٤

(٢) سنن الترمذي ك: الفتن الباب (٧)، وقال: حديث حسن، صحيح، غريب.

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة في صحيحه. كتاب الفتن: الحديث رقم ٥٣

(٤) سنن الترمذي: ك: الفتن الباب (٧)، وقال الترمذي: حديث غريب.

(٥) الحجرات/ ١٠

(٦) آل عمران/ ١٠٣

(٧) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب المظالم، الباب ٣. وصحيح مسلم: كتاب البر والصلة، الحديث رقم ٣٢

(٨) متفق عليه. صحيح البخاري: كتاب الصلاة، الباب (٨٨)، وصحيح مسلم: كتاب البر، الحديث رقم

وقوله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.»^(١)

٥ - فرض حقوق المسلم وواجباته تجاه إخوانه، مما يؤكد التلاحم بين المسلمين، وأنهم كالأسرة الواحدة، كل فرد له حق، وعليه واجب، ومن هذه الحقوق: أداء الزكاة. والنفقة على الأقارب والمملوكين. والنصوص في هذا كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾^(٢).

ومن الحقوق أيضا: النصح لكل مسلم. كما جاء ذلك في حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم.»^(٣)

ومنها ما جاء في الحديث: «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس.»^(٤)

وكل هذه الحقوق - وشبهها - إذا طبقت فإنها تؤلف بين القلوب، وتقرب الناس بعضهم إلى بعض، وذلك هو أساس الاتحاد.

٦ - وقد أحاط الإسلام هذه القيمة العظيمة «الوحدة والأخوة» بسياسات منيع يحفظ كيانه من الاهتزاز والضعف، فنهى عن الغيبة والنميمة، والكذب وقول الزور، والعصبية الجاهلية، وكل خلق ذميم.

فكل ذلك ونحوه: مما يدل على أهمية الوحدة الإسلامية وعظم شأنها. وأنها فريضة شرعية، وضرورة اجتماعية، يملئها حاضر الأمة ومستقبلها، وما تتطلبه مصالحها وحضارتها.

(١) رواه البخاري في صحيحه ك: الأدب، الباب (٢٧). ومسلم في صحيحه: كتاب البر، برقم (٦٦). واللفظ له

(٢) الإسراء/ ٢٦

(٣) متفق عليه: (صحيح البخاري ك: الإيمان ب ٤٢، وصحيح مسلم ك: الإيمان ح/ ٩٧)

(٤) متفق عليه: (صحيح البخاري ك: الجنائز ب ٢، وصحيح مسلم ك: السلام ح/ ٤)

المطلب الثالث

أسس الوحدة

كثيراً ما تتحد بعض الشعوب تحت راية واحدة، وتجتمع على أمور محددة، وتقوم على أسس مرسومة، ولكنها أسس هشة، لا تنطلق من ثوابت صحيحة. ومن هذه الأسس الهشة:

القومية، والوطنية، والعنصرية، واللغة، وما يدور في فلكها.

وكلها من دعاوى الجاهلية دون ريب، إذا كانت مجردة عن الدين.

وإذا كانت هذه الأسس قد جمعت كثيراً من الأمم - كما هو مشاهد في عالم اليوم - إلا أنها كما قال الأستاذ أبو الأعلى المودودي - رحمة الله - : «... قد جرت كوارث هائلة على الإنسانية، ووزعت العالم الإنساني إلى مئات وآلاف من الأجزاء، وكل جزء من هذه الأجزاء يمكن إفناؤه، ولكن لا يمكن تحويله إلى غيره، لا يمكن أن يبدل جنس بجنس غيره، ولا وطن بوطن غيره، ولا لون بلون غيره، ولا دولة بدولة غيرها، ولا أن يتكلم أهل لغة بلغة غيرها، ولا أن تصير المصالح الاقتصادية لأمة مصالح لأمة غيرها بعينها... فالنتيجة اللازمة لكل ذلك: أن القوميات التي تقوم على هذه الأسس لا سبيل إلى التوفيق بينها بأي حال من الأحوال، وهي على الدوام متحاربة بينها، لأجل ما في نفوس أهلها من العصبية، وتحاول كل واحدة منها أن تقضي على غيرها، ولا تنتهي هذه الحرب بينها إلا بفنائها كلها، لتقوم على هذه الأسس نفسها قوميات جديدة، وتثير في الأرض مثل ما أثارت هي من الويلات والقلقل والاضطرابات، وهذا مصدر أبدي للفساد والشر، يتهدد أمن الأرض وسلامها.»^(١).

(١) بين القومية والإسلام ص ١٢، ضمن كتاب (طائفة من قضايا الأمة الإسلامية)

أما الإسلام فقد أرسى الوحدة على أسس متينة راسخة، متى وجدت فلا يمكن أن تنزعزع هذه الوحدة، أو يتطرق إليها الضعف، وقد مر بك أن مقومات الوحدة هي:

١ - الفكر، والاعتقاد.

٢ - الاجتماع.

٣ - السياسة.

٤ - الاقتصاد.

ولعل من نافلة القول: التنويه - هنا - بأن الأسس هي ذات المقومات، غير أنه لا بد من تشقيق بياني.

ولنبداً أولاً: بالأسس الفكرية:

١ - العقيدة الإسلامية

وأعني بها: تلك العقيدة الصافية النقية القائمة على الكتاب والسنة، ووفق فهم سلف هذه الأمة.

بعيداً عما أحدثه أو أدخله بعض الخلف - من علماء الكلام ونحوهم - من محدثات كثيرة في باب التوحيد أو الإيمان، ناهيك عما أحدثه أتباع الطرق الصوفية المنحرفة من أفكار وأذكار ورسوم، وأخيراً ما ألصقه دعاة الباطل في هذا العصر من مفاهيم غريبة، ذات اتجاه علماني صرف.

أجل: إن العقيدة الصحيحة هي أساس اللقاء والاجتماع بين المسلمين، بل أساس الحياة السعيدة.

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٩٢) ﴿١﴾.

(١) الأنبياء/ ٩٢

قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: «يقول تعالى ذكره: إن هذه ملئكم ملة واحدة، وأنا ربكم أيها الناس، فاعبدون، دون الآلهة والأوثان، وسائر ما تعبدون من دوني.»^(١)

وقال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾^(٢) فهذا الوعد بالتمكين مشروط بإخلاص العباد لله تعالى وعدم الإشراك به، «ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله.»^(٣)

٢- العبادة:

وأعني بها: الشعائر التعبدية التي شرعها الإسلام للتقرب إلى الله تعالى، ونيل رضاه: كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد، ونحو ذلك.

فهذه أساس من أسس اللقاء والاجتماع بين المسلمين، فإذا لم تتوافر في مجتمع فإن اجتماعه أو وحدته من المتعذرات، ولك أن تتصور مجتمعاً ينتسب للإسلام ولكنه لا يقيم لهذه العبادات وزناً، فلا إقامة للصلاة، ولا أداء للزكاة، ولا احترام لشهر رمضان على الوجه المشروع، ولا إلتزام بالمعروف، ولا تناهٍ عن منكر، فهل يصدق على هذا المجتمع بأن يقال: بأنه مجتمع متحد؟ كلا، إنه مجتمع متفكك، لا يعظم شعائر الله، ولا يقيم وزناً للعبادة، ومن ثم فلا بد أن يوقع الشيطان بينهم العداوة والبغضاء، وإن المتأمل في هذه العبادات ليلحظ أنها قائمة بنفسها على الاجتماع. فالصلاة - مثلاً - لها صور عديدة، في أوقات مختلفة، وأكثرها يتم بأسلوب جماعي، في مكان محترم آمن، هو المسجد الذي أمر الله بعمارته وبنائه.

(١) جامع البيان ١٧/ ٨٥: دار الفكر ١٤٠٥هـ

(٢) النور/ ٥٥

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٤٣٩/٥

قال الله عز وجل: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۖ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۚ﴾ (١).

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۚ﴾ (٢).

والصيام كذلك، فيه معنى التقارب والتآلف بين المسلمين، فالناس يصومون شهراً واحداً محدداً، وهو شهر رمضان، يبدأ صومهم بطلوع الفجر، وينتهي بغروب الشمس.

ولم يترك ذلك للفرد نفسه يبدأ وينتهي وفق إرادته. كما في الحديث الشريف: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته.» (٣) الحديث.

والحج يعبر عن معنى التجمع والتقارب بين المسلمين بصورة جلية. إذ هو مؤتمر عظيم، يجتمع فيه المسلمون من كل حذب وصوب ﴿وَأُذِنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۖ﴾ (٤) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ ۚ﴾ (٤).

والزكاة - أيضاً - وسيلة عظيمة للتقارب، باعتبارها تقوم على التكافل الاجتماعي، وتؤلف بين قلوب الفقراء والأغنياء. قال الحق سبحانه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ۚ﴾ (٥).

وهكذا بقية العبادات . . .

(١) النور/ ٣٦، ٣٧

(٢) التوبة/ ١٨

(٣) متفق عليه: - صحيح البخاري: كتاب الصوم. الباب (٥)، وصحيح مسلم: كتاب الصيام ح/ ١٧، ١٨

(٤) الحج/ ٢٧، ٢٨

(٥) التوبة/ ١٠٣

٣- القبلة الواحدة

وهي من أعظم الشعائر الإسلامية التي تجمع المسلمين، بل وتميزهم عن غيرهم. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾^(١).

ولأهمية هذه الشعيرة نسبت الأمة المسلمة إليها بكل فرقها، فسموا: أهل القبلة، كما في الحديث: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم، الذي له ذمة الله، وذمة رسوله.»^(٢)

٤- العلم والمعرفة:

وهو أساس عظيم، لا تقوم حياة الإنسان والأمم إلا به. قال الله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٣).

وصدق الأصبهاني إذ يقول:

العلم يبني بيوتاً لا عماد لها والجهل يهدم بيت العز والشرف
فلا قيام لأمة إلا بالعلم، ولا عز ولا شرف ولا وحدة إلا به.

ثانياً: الأسس الاجتماعية والخلقية

١- البناء الأسري المحكم:

فالأسرة هي «أول خلية في جسم المجتمع»^(٤)، بل هي «عماد المجتمع»^(٥)،

(١) البقرة/ ١٤٣

(٢) رواه البخاري ك: الصلاة ب/٢٨

(٣) الزمر/ ٩

(٤) الأسرة تحت رعاية الإسلام. للأستاذ عطية صقر ٣٨/١

(٥) تنظيم الإسلام للمجتمع للشيخ أبي زهرة ص ٦٤

فإذا كانت قوية متماسكة أمكن بناء المجتمع، بل إن الإسلام يعتبر الفرد هو أول البناء. ففي الحديث: «المؤمن للمؤمن كالبنیان، يشد بعضه بعضاً. وشبك النبي ﷺ بين أصابعه»، وتقدم في المطلب الثاني.

٢- التكافل الاجتماعي:

وهو أن يكون آحاد الأمة في كفالة جماعتهم، وأن يشعر كل فرد بأن عليه حقوقاً لمجتمعه، وله حقوقاً عليهم^(١).

ونصوص الشريعة في هذا من الكثرة بحيث يصعب استقصاؤها. ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٣).

وقوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». وتقدم في المطلب الثاني.

٣- الأخلاق:

وهي أساس عظيم للقاء والاجتماع والاتحاد. إذ هي كما يقول أحمد شوقي: وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولذلك كان من مقاصد رسالة محمد ﷺ: أن يكمل الأخلاق ويتممها. كما قال ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٤) ولا تقوم حياة ولا حضارة بدونها، بل لا إيمان صحيحا بدونها، وثمة نصوص كثيرة منها قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٥).

(١) ينظر: التكافل الاجتماعي في الإسلام للشيخ أبي زهرة ص ٧

(٢) التوبة/ ٧١

(٣) المائدة/ ٢

(٤) رواه مالك: ك حسن الخلق ح/ ٨، وأحمد في المسند ٢/ ٢٨١، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ١٥: رجال أحمد رجال الصحيح

(٥) متفق عليه: صحيح البخاري ك: الإيمان ب(٧) وصحيح مسلم ك: الإيمان ح/ ٧١

وقوله: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه.»^(١)

ومن أصول الأخلاق: الصدق، والكرم، والعفة، والوفاء، والشجاعة والنصح للمسلمين، وحسبك بها روابط وأواصر.

وبضدها تتميز الأشياء، فبانتشار الأخلاق الرذيلة يحصل التفكك الاجتماعي والأمني، ولا بد.

وخذ مثلاً لذلك: مجتمع ينتشر فيه الكذب وقول الزور والغش والخداع والنفاق والبخل والجبن، والدناءة والرشا... كيف يكون وضع مثل هذا المجتمع؟!

بالطبع سيكون مجتمعاً متهاكاً، متطاحناً، يأكل بعضه بعضاً، ويعيش بعضه على حساب الآخرين.

ثالثاً: الأسس السياسية

١- تحكيم الشريعة والاحتكام إليها:

وهذا أساس مهم للوحدة الإسلامية؛ لأن الأسس السابقة ربما كانت تصرفات فردية، أو على شكل جماعات، لكن النظام العام الذي يحكم هذا المجتمع ربما كان وضعياً أو علمانياً.

فالوحدة - هنا - أمر متعذر.

وأهمية هذا الأساس - وهو ما يطلق عليه بعض المفكرين في العصر الحاضر «الحاكمية» - تأتي لكونها مرتبطة بالعقيدة الإسلامية.

(١) متفق عليه (صحيح البخاري ك: الأدب، ب/٢٩، وصحيح مسلم ك: الإيمان ح/٧٣)

قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾^(١).
وفي قراءة ابن عامر ﴿وَلَا تُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ بالجزم. على أن (لا) ناهية^(٢).

٢- وحدة الإمامة العظمى:

الأصل في المسلمين: أنهم أمة واحدة، مهما تناءت بهم الديار، أو اختلفت لغاتهم، أو ألوانهم، أو عاداتهم.

ولذلك كان الأصل أن تكون رئاستهم موحدة، حتى قال الإمام ابن حزم - رحمه الله -: «اتفق على أنه لا يجوز كون إمامين في وقت واحد في العالم، ولا يجوز إلا إمام واحد»^(٣).

والحجة في ذلك: ما جاء في السنة الصحيحة من أحاديث عديدة: مثل قوله ﷺ: «... ستكون خلفاء فتكثر، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فوا ببيعة الأول، فالأول»^(٤).

وقوله: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما...»^(٥).

غير أن هذا الإجماع نوزع فيما بعد.

قال الشوكاني - رحمه الله - في معرض حديثه عن هذا الموضوع:

«وأما بعد انتشار الإسلام، واتساع رقعته، وتباعد أطرافه، فمعلوم أنه قد صار في كل قطر أو أقطار: الولاية إلى إمام أو سلطان، وفي القطر الآخر أو الأقطار كذلك، ولا ينفذ لبعضهم أمر ولا نهى في قطر الآخر، وأقطاره التي رجعت إلى ولايته.

(١) الكهف/ ٢٦

(٢) انظر: حجة القراءات لأبي زرعة ص ٤١٥، تحقيق سعيد الأفغاني

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٨٨/٤

(٤) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء، الباب رقم (٥)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإمارة،

الحديث رقم ٤٤

(٥) رواه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الإمارة، الحديث رقم ٦١

فلا بأس بتعدد الأئمة والسلاطين، ويجب الطاعة لكل واحد منهم - بعد البيعة له - على أهل القطر الذي ينفذ فيه أوامره ونواهيه.

وكذلك صاحب القطر الآخر، فإذا قام من ينازعه في القطر الذي قد ثبتت فيه ولايته وبإيعه أهله كان الحكم فيه أن يقتل إذا لم يتب، ولا تجب على أهل القطر الآخر طاعته، ولا الدخول تحت ولايته، لتباعد الأقطار.^(١)

ونحن أمام هذين الرأيين - والمجال هنا ليس مجال تفصيل الحكم - نقف مؤكدين بعض الحقائق:

- ١ - أن الأصل أن تكون الإمامة واحدة، والتعدد أمر طارئ.
- ٢ - أنه يجب على المسلمين أن يتقاربوا ويتآلفوا اجتماعياً حتى تتقارب اهتماماتهم السياسية، وأن يحاولوا - في عصرهم الراهن الذي كثرت فيه دويلاتهم حتى زادت على خمسين دولة - أن يتحدوا، ولو بالطرق التدريجية.

وسياتي مزيد إيضاح - إن شاء الله .
تلك في تقديري أهم الأسس التي ينبغي أن تقوم عليها الوحدة الإسلامية التي ننادي بها.

ولا يجوز التنازل عنها، أو عن بعضها، إلا بالقدر الذي لا يمكن تحقيقه.

المطلب الرابع

أهداف الوحدة

الوحدة بين المسلمين ليست مجرد شعار يرفع، أو وحدة شكلية بلا مضمون، أو وحدة ذات أهداف ومطامع مادية، ومصالح خاصة.

(١) السيل الجرار ٤/ ٥١٢

كلا، إنها وحدة حقيقية ترمي إلى تحقيق أهداف سامية، ويمكن تقسيم هذه الأهداف إلى:

- ١ - أهداف فكرية.
- ٢ - أهداف اجتماعية.
- ٣ - أهداف سياسية.
- ٤ - أهداف مادية.

أولاً: الأهداف الفكرية

وهي تأتي في المقام الأول بلا شك، ومن هذه الأهداف:

- ١ - الدعوة إلى الله تعالى، وهي هدف جليل^(١).
- قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٢).

يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - : «إن شطر هذه الآية يضع على كاهل الجماعة المسلمة في الأرض واجباً ثقيلاً، بقدر ما يكرم هذه الجماعة ويرفع مقامها. وهذا ما ينبغي أن تدركه الأمة المسلمة، لتعرف حقيقتها وقيمتها، وتعرف أنها أخرجت لتكون طليعة؛ ولتكون لها القيادة، بما أنها خير أمة، والله يريد أن تكون القيادة للخير، لا للشر في هذه الأرض... ومن هذا يتبين أن المنهج الذي تقوم عليه هذه الأمة يطالبها بالشيء الكثير، ويدفعها إلى السبق في كل مجال.»^(٣)

ويقول سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٤).

(١) بنظر: غياث الأمم في التياث الظلم للجويني ص ١٩٥ تحقيق د.عبدالعظيم الديب

(٢) آل عمران/ ١١٠

(٣) في ظلال القرآن ص ٤٤٦-٤٤٧

(٤) النحل/ ١٢٥

ويقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(١).

- ٢ - نشر العقيدة الصحيحة، عن طريق الوسائل الممكنة، مثل: التعليم، والإعلام، والدعوة، والحسبة، وغيرها.
- ٣ - نشر العلم الشرعي، عن طريق المدارس والمعاهد، والجامعات، والمراكز العلمية، ودور النشر.
- ٤ - محاربة الأفكار والمبادئ الهدامة، الداخلية والخارجية.
- ٥ - تأصيل العلوم غير الشرعية إسلامياً، ولا سيما ما يعرف بالعلوم الاجتماعية.
- ٦ - نشر اللغة العربية، باعتبارها لغة القرآن العظيم، ووسيلة فهم الإسلام.

ثانياً: الأهداف الاجتماعية

- وللوحدة الإسلامية أهداف اجتماعية تسعى إلى تحقيقها، ومنها:
- ١ - تقريب الشعوب الإسلامية بعضها إلى بعض، وذلك عبر طرق عديدة، مثل: تسهيل التنقل والأسفار، والتملك، والاستيطان في كل البلاد الإسلامية، وتسهيل عقود الزواج والارتباطات الأسرية بين القبائل والشعوب.
 - ٢ - محاربة العادات والتقاليد الجاهلية المقيتة.
 - ٣ - المحافظة على شخصية المسلم من الذوبان في شخصية الأجنبي، ومن ثم المحافظة على كيان المسلمين وشخصيتهم.
 - ٤ - التوازن في علاقة الفرد بالمجتمع.

(١) الصف / ٩

ثالثاً: الأهداف السياسية

ومن أبرزها:

- ١ - التحكيم والتحاكم إلى الشريعة الإسلامية في كل شؤون الحياة.
 - ٢ - وحدة إمامة المسلمين كما مر معنا.
 - ٣ - جمع كلمة المسلمين، وتأليف بعضهم إلى بعض.
 - ٤ - توحيد الصف.
- كما قال الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٍ﴾^(١).
- ٥ - الجهاد في سبيل الله
- قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾^(٢)

رابعاً: الأهداف المادية. ومنها:

- ١ - إعداد القوة، تأهباً للجهاد، وإرهاباً للعدو.
- قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾^(٣).
- ٢ - الاستفادة من الثروات المادية الهائلة التي تحويها بلاد المسلمين.
 - ٣ - الاستفادة من الثروة البشرية الكبيرة التي تضمها بلاد المسلمين، والتي يقدر عددها الآن بما يزيد عن ألف مليون نسمة.
- ولا شك أنه إذا أحسن استغلال هذه الثروات فإن الدولة المسلمة تستغني أو تكاد عن غير المسلمين الذين ملأوا ديار المسلمين، ولا سيما البلاد الغنية، بل البلاد التي لم يكن لهم وجود أصلي فيها (جزيرة العرب).

(١) الصف/ ٤

(٢) البقرة/ ١٩٣

(٣) الأنفال/ ٦٠

وبدون الوحدة لا يمكن أن تتحقق هذه الأهداف، فالقوة لا تتحقق مع وجود
الفرقة والاختلاف.

قال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَزْعَمُوا فَفَعَلْنَا مَا تَفَعَلُونَ﴾^(١).

وبدون الوحدة لا يستفيد المسلمون بعضهم من بعض، بل يبقى الكثير منهم
وبالأخص الشعوب الفقيرة، على هامش الأمم الحضارية.

المطلب الخامس

وسائل تحقيق الوحدة

لا بد من الاعتراف - بدءاً - بأن قضية تحقيق الوحدة أمر جد عسير، ومهمة
صعبة للغاية، لذا كان لا بد أن يبذل في سبيلها جهود عظيمة متواصلة،
وتضحيات كبيرة على كافة الأصعدة والمستويات:

- على صعيد الفرد والجماعة.
- وعلى صعيد العلماء والزعماء.
- وعلى صعيد الفكر والأدب... الخ.

وذلك لما يعترض طريق الوحدة من عراقيل وعقائيل ومشكلات وتحديات.
ولكن الأمر غير مستحيل إذا صدقت العزائم، وحسنت النوايا، وتضافرت
الجهود.

وثمة وسائل عديدة يمكن من خلالها الوصول - بتوفيق الله - إلى هذه الوحدة.
ويمكن إيجاز أبرز هذه الوسائل وفق الآتي:

أولاً: وسائل فكرية مثل:

١ - العمل على تصفية العقيدة وتنقيتها مما علق بها من شركيات وبدع

(١) الأنفال/ ٤٦. والريح: القوة والبأس

وخرافات، مما هو ملحوظ ومنتشر في كثير من البلاد المسلمة، وهذا أعظم الوسائل على الإطلاق. بل لا طريق إلى الوحدة الحقيقية إلا عن هذا الطريق، وكيف تلتقي الأمة واعتقادها مختلف؟

وصدق الله العظيم القائل: ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٢) وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣) (١).

وهذا التآلف إنما كان - كما يقول الخازن - «بسبب الإيمان وطاعة الرسول ﷺ» (٢).

٢ - نشر الوعي الإسلامي العام، وترسيخ القيم الإسلامية بين الشعوب المسلمة، فكلما كان الناس أقرب إلى التمثل الإسلامي والاهتداء بهدي النبي ﷺ كانوا إلى الوحدة أقرب، وبها أليق.

٣ - إصلاح التعليم ومناهجه، وتوجيه سياسته بما يخدم الإسلام وأهله.

فإن العلم هو الركيزة الأولى لحياة الأفراد والأمم وتقدمها.

٤ - التنسيق بين المؤسسات التربوية والتعليمية في العالم الإسلامي، وتقريب وجهات النظر في مناهج التعليم. تمهيداً لاتحادها.

٥ - توجيه وسائل الإعلام - بأنواعها - لخدمة الإسلام والمسلمين، ولخدمة هذه القضية خاصة.

وما من شك أنها مهمات ضخمة تتطلب تضافر الجهود من قبل أهل الحل والعقد في بلاد المسلمين: من العلماء، والمفكرين، والتربويين، وأهل الرأي والزعامة والرئاسة والنفوذ.

(١) الأنفال/ ٦٢، ٦٣

(٢) تفسير الخازن ١٩٦/٢ دار المعرفة. بيروت، وبهذا تنكشف الأكذوبة القائلة:

إن فرق الإيمان بين قلوبنا فلسنا العربي خير موحد

والمؤسسات الإسلامية - على اختلافها - تتحمل قسطاً كبيراً من هذه المسؤولية^(١).

ثانياً: وسائل سياسية

١ - المؤتمرات واللقاءات بين أهل الحل والعقد في البلاد الإسلامية، من زعماء وعلماء، والتشاور بينهم في كل الأمور العامة. كما قال الحق تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾^(٢)، وقد كانت الأئمة - كما يقول الإمام البخاري^(٣) - : «يستشيرون الأئمّة من أهل العلم في الأمور المباحة، ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره، اقتداء بالنبي ﷺ»، ولعل منظمة المؤتمر الإسلامي تقوم بالجانب المتعلق بالزعماء والقادة.

ورابطة العالم الإسلامي - بمكة المكرمة - تقوم بالجانب المتعلق بالعلماء والمفكرين، بالتعاون مع المؤسسات العلمية والدعوية.

ولا شك أن هذين الصنفين من الناس - العلماء والزعماء - لهم النفوذ الأكبر في المجتمعات الإسلامية، ويدهم الحل والعقد.

ولا أرى الفصل بين هذين الصنفين، لأنه قد لا يحقق الأمل المنشود.

بل لا يكفي مجرد اللقاء بين أصحاب الصنف الواحد، كالزعماء - مثلاً - أو العلماء.

بل أقترح عقد لقاءات ومؤتمرات على مستوى القادة والعلماء مشتركين. إذ إسلامنا يجمع بين الدين والدولة، والعلم والإيمان، والمصحف والسيف.

(١) ينظر: الوحدة الإسلامية لأبي زهرة، ص ٢٦٢ فما بعدها

(٢) الشورى / ٣٨

(٣) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، الباب ٢٨

وبما أن أكثر الزعماء في العالم الإسلامي ليسوا من أهل العلم، والعلماء ليس بيدهم سلطة، لذلك كان من الضروري اللقاء المشترك بينهم^(١).

٢ - أن يقوم السياسيون ذوو الغيرة على دينهم وشعوبهم بمهمة التقريب بين الشعوب الإسلامية عبر الوسائل الممكنة، كتسهيل السفر أو الهجرة بين الدول المسلمة، وبذل المساعدات المادية وغيرها للشعوب الفقيرة.

٣ - طرح الحلول السياسية المرحلية والتدرجية لقضية التقارب بين المسلمين، بحسب القدرة والإمكانات.

وقد اقترح بعضهم^(٢) الجامعة الإسلامية التي نادى بها من قَبْلُ السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، بحيث تجمع الشعوب والحكام وتقوم على الشورى وتنفيذ الأحكام الشرعية.

واقترح آخرون عقد تحالف بين دول العالم الإسلامي، يتم بموجبه التعاون والترابط بين تلك الدول^(٣).

وهناك مقترحات أخرى لا يتسع المقام لها. والمقصود هنا العمل على تحقيق الوحدة بأي أسلوب لا يتعارض مع الأسس والأهداف السابقة، أما تحقيق الخلافة فذلك مقصد أخير^(٤).

ولعل أبرز وسيلة هي ما يعرف بـ «التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية»^(٥) وله صور عديدة، من أظهرها:

١ - إقامة سوق مشتركة بين الدول المسلمة، فإن التعاون المشترك كما يقول أحد الباحثين^(٦): «يقرب بين الدول الأعضاء، ويزيد في حسن العلاقات والصلات بينها، ويخفف من أثر الخلافات التي يمكن أن تنشأ بسبب أو

(١) ينظر في أهمية الشورى في تحقيق الوحدة (الوحدة الإسلامية ص ٢٤١ مرجع سابق)

(٢) كالشيخ/ محمد أبي زهرة في كتابه «الوحدة الإسلامية» ص ٢٥٤ فما بعدها

(٣) ينظر كتاب «الشعوب الإسلامية ووسائل التقريب بينها» للدكتور/ مقداد بالجن ص ١١١

(٤) ينظر كتاب «الوحدة الإسلامية» المرجع السابق ص ٢٥٢، ٢٥٣

(٥) ينظر كتاب التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية للدكتور/ إسماعيل شلبي

(٦) وهو الدكتور/ محمود بابللي في كتابه: السوق الإسلامية المشتركة ص ١٤٢

بآخر، ويمكن الدول الأعضاء من حل خلافاتها بالطرق السلمية لوجود هذه الارتباطات فيما بينها، وهذا التعاون يكون سبباً لتوحيد السياسات الاقتصادية للدول الأعضاء بشكل تدريجي، ويساعد على تنمية النشاط الاقتصادي.

٢ - توحيد العملة في البلدان الإسلامية.

وهذا عامل جيد في تقريب المسلمين بعضهم إلى بعض.

٣ - إنشاء البنوك الإسلامية، وتكثيفها وتشجيعها، بحيث تضيق النطاق على البنوك التجارية الربوية، ومن ثم يستغني المسلمون عن هذه البنوك الغربية الغربية.

المطلب السادس

معوقات الوحدة

لا شك أن أمام وحدة المسلمين عراقيل كثيرة، ومعوقات عسيرة، لا بد من الاعتراف بها، والوقوف عندها، لمحاولة التغلب عليها بإيجاد حلول ومخارج منها. ووفقاً للتقسيم السابق فإن ثمة معوقات فكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية.

ونلمح إليها في النقاط الآتية:

أولاً: المعوقات الفكرية

سبقت الإشارة إلى الأهداف الفكرية حيث ذكرنا منها:

١ - الدعوة إلى الله.

٢ - نشر العقيدة الصحيحة.

٣ - نشر العلم الشرعي.

٤ - محاربة المبادئ الهدامة.

٥ - تأصيل العلوم غير الشرعية.

٦ - نشر اللغة العربية.

وغني عن البيان: أن الوصول إلى هذه الأهداف يقف في طريقه عقبات كثيرة، ويهمننا هنا الجانب الفكري منها.

*** ففي مجال الدعوة يلاحظ أن ثمة عدة مشكلات:**

منها: تعدد المناهج الدعوية، واختلاف الدعاة والحركات الإصلاحية إلى حد التنافر والتضاد في كثير من الحالات.

ومنها: تخلي كثير من العلماء والمفكرين عن مسؤولية الدعوة، أو السلبية في التعامل مع الواقع.

*** وفي مجال نشر العقيدة هناك معوقات ضخمة منها:**

أ - غياب المنهج السلفي الأصيل عند كثير من رجالات الفكر والعلم والدعوة، وفشو مناهج محدثة تخالف منهج السلف.

الأمر الذي جعل عقيدة السلف غريبة عند جماهير الأمة المسلمة، وجعل غيرها مألوفاً ومعروفاً.

ب - انتشار البدع والخرافات والتقاليد الجاهلية، بل ومظاهر الشرك في بلاد كثيرة من بلدان المسلمين، حتى أصبحت هي المعروف، والمعروف منكراً.

ج - بل إن بعضاً ممن يحمل هذه الأفكار المنحرفة يقف بحزم تجاه المنهج السلفي، ويحاربه بكل ما يملك من إمكانيات.

*** وفي مجال محاربة المبادئ الهدامة:** كالماسونية، والإلحاد، والعلمانية، نجد أن محاربتها تتضاءل أمام جهود المؤيدين الهدامين، سواء في مجال التعليم أو الإعلام، أو عن طريق الفن والأدب وغيرهما.

*** وفي مجال تأصيل العلوم غير الشرعية - كالعلوم الإنسانية والعلوم التطبيقية -** يلاحظ أنه يوجد جملة من العقبات، منها:

عدم وضوح الرؤية عند كثير من أهل الفكر والأدب بشأن تأصيل هذه العلوم، ومن ثم يقف معارضاً للمبدأ كله، أو يشكك في جدواه وأهدافه.

وها نحن نرى جهود المعارضين لتأصيل العلوم الاجتماعية، أو الأدب أو الاقتصاد فضلاً عن علوم الطب ونحوه.

* وفي مجال نشر اللغة العربية:

- نجد أن ذلك يكتنفه كثير من المشكلات، منها:
- انتشار لغات عالمية أجنبية، أصبحت هي اللغة الرسمية في بعض بلدان المسلمين.
- ما ينسب إلى اللغة العربية من صعوبة أو تعقيد.
- انتشار الأمية بين الناس، بحيث أصبحت اللهجات الشعبية هي اللغة الرئيسية، ولم يعد من السهل إقناع هؤلاء - لكثرتهم - بأهمية اللغة العربية^(١).

وهنا ينبغي الإشارة إلى مناط المسؤولية في هذا المجال، فإنها وإن كانت موزعة على جهات عديدة، لكن المجامع اللغوية، ومراكز البحث العلمي، والجامعات ذوات التخصص في العلوم اللسانية تتحمل العبء الأكبر، وهي قادرة - بإذن الله - على تخطي كثير من العقبات، متى صدقت النوايا.

ثانياً: المعوقات الاجتماعية:

- ذكرنا - من قبل - الأهداف الاجتماعية التي كان من أبرزها:
- أ - تقريب الشعوب الإسلامية بعضها إلى بعض.
- ب - محاربة العادات والتقاليد الجاهلية.
- ج - المحافظة على شخصية الفرد والمجتمع من الذوبان في شخصية الأجانب. والوصول إلى هذه الأهداف فيه صعوبة قطعاً.

(١) يراجع: الوحدة الإسلامية. لأبي زهرة ص ٢٧٢ فما بعدها

* أما بالنسبة لتقريب الشعوب الإسلامية فإنه يعترض ذلك عدة عقبات اجتماعية، ولعل من أخطرها: وجود العصبية المتطرفة لدى كثير من الشعوب والقبائل، إما بسبب الجنس أو القوم، أو الوطن أو اللون، أو غير ذلك.

وكلها من أعمال الجاهلية ما دامت محور اللقاء والولاء والبراء.

وها نحن أولاء نرى القوميات تثار بين الحين والآخر في أفطار كثيرة.

وينتج عن ذلك من الآثار السلبية ما لا يستطيع القلم وصفه.

* وأما بالنسبة للعادات والتقاليد الجاهلية فإنها تكاد تكون الباعث الرئيس لمعظم التصرفات في أكثر مجالات الحياة الفكرية والاجتماعية والعلاقات بصفة عامة، ولا تسأل عن آثار هذه التصرفات.

ولذلك فإن التعامل مع هذا العائق والذي قبله ينبغي أن يكون بالغ الدقة والحذر، لئلا يشير مفاصد أعظم.

* وأما بالنسبة للمحافظة على شخصية الفرد والمجتمع من الذوبان فإنه يقف في طريقها كثير من العقبات.

ومن أبرزها: اختلاط المسلمين بغيرهم، بحيث أصبحت الكرة الأرضية أشبه بالقطر الواحد، بل المدينة الواحدة، حيث توافر أسباب الاتصال والمواصلات.

ناهيك عن البث الإعلامي الغربي المباشر، الذي أصبح يغزو كل بيت، ويدخل عقل كل فرد، إلا ما شاء ربك، وقليل ما هم. إن ذلك - دون شك - يتطلب تخطيطاً مدروساً، للوقوف أمام هذا التيار الجارف.

وعلى أية حال: فإن هذه المعوقات الاجتماعية وشبهها تتطلب أموراً كثيرة:

١ - الدراسات الاجتماعية المكثفة والعميقة لهذه الظواهر، وإيجاد الحلول المناسبة.

٢ - الوقفة الشجاعة من قبل أهل الغيرة والصلاح والإصلاح تجاه تلك المشكلات والمظاهر الجاهلية.

ثالثاً: المعوقات السياسية

وقد مر معنا ذكر الأهداف السياسية التي كان من أهمها:

١ - وحدة إمامة المسلمين .

٢ - جمع كلمتهم .

٣ - توحيد الصف .

٤ - الجهاد .

والوصول إلى هذه الأهداف دونه خطر القتاد، ولا سيما المعوقات السياسية التي هي محور الحديث في هذه النقطة .

* أما بالنسبة لوحدة إمامة المسلمين :

فإنه منذ تعددت الإمامة وانقسمت البلاد الإسلامية - منذ أوائل القرن الثاني الهجري - فإن الرجوع إلى الوحدة التي كان عليها المسلمون في عهد الخلافة الراشدة وبني أمية بقي حلمًا، يتمنى تحقيقه كل مسلم صحيح الإسلام .

ولكنه استمر مجرد حلم، لم يستطع المسلمون أن يصلوا إليه إلا عن طريق التصور الذهني المجرد، أو الأمانى المعسولة، لحدة الانقسام الموجود في البلدان الإسلامية، حيث كثرة الدول، وتعدد المناهج والأنظمة، واختلاف الأهداف، مع تنافر شديد، حتى انطبق عليهم قول الشاعر:

راحت مشرقة ورحت مغرباً شتان بين مشرق ومغرب

وأرجو ألا يفهم من ذلك التئیس أو التشیط . كلا، ولكنني أقول: إن ذلك يتطلب أمرين مهمين:

١ - أن تعطى القضية حجمها الحقيقي، بصفتها قضية كبرى مصيرية، تحتاج إلى تضحية وصبر وتفاؤل، ووقت طويل .

٢ - أن الحل لا يمكن أن يأتي فجأة، بحيث تتحول خمسون دولة إلى دولة واحدة في غمضة عين، فذلك ما يتعارض وسنن الله، ولكن ذلك لا يحل إلا بالطرق التدريجية .

* وأما بالنسبة لجمع كلمة المسلمين :

فإنه يلاحظ أن أعداء الملة وأصحاب الأهواء والمطامع يحرصون على تفريق الكلمة، وتشيت الآراء.

ولنضرب لذلك مثلاً حياً: فقضية تحكيم الشريعة الإسلامية - مثلاً - وهي من أهم مقومات جمع الكلمة، ما زالت تطرح على الساحة الإسلامية نظرياً وعملياً.

ولكن المعارضين من أصحاب التنظير وأصحاب التنفيذ والنفوذ كثيراً ما يثيرون الشبهات تلو الشبهات حول هذه القضية، ويعلنون رفضهم الكامل لها بحجج واهية.

وها هي التحديات تظهر بصورة سافرة في كل بلاد تطرح فيها هذه القضية، وتجد الدعم الكامل من أعداء الملة في الشرق والغرب، والله المستعان على ما يكيدون.

ومثال آخر أكثر التصاقاً بالمسألة: أنه يلاحظ أنه كلما تم شيء من التفاهم بين المسلمين في أي من شؤونهم الكبرى فإن العدو يسعى جاهداً لإثارة البلبلة وتفريق الكلمة، وصدق الله العظيم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

* وأما بالنسبة لتوحيد الصف:

فهو قرين الهدفين السابقين، والعدو يحرص على تفريق الصف ما أمكنه ذلك، ومتى رأى تجمعاً إسلامياً - مهما صغر - فإنه يسعى إلى التفكيك وإثارة الغبار. وشعاره على الدوام: فرق تسد^(٢).

(١) التوبة/ ٣٢

(٢) ولا ننسى ذلك المؤتمر الأوروبي المعقود سنة ١٩٠٧م، والذي ضم أبرز المفكرين السياسيين الأوروبيين برئاسة وزير خارجية بريطانيا. وكان من قراراته: وضع خطة تقضي بمنع إيجاد أي اتحاد أو اتفاق بين دول الشرق الأوسط، وذلك على اعتبار أن الشرق الأوسط المسلم إذا اتحد يشكل خطراً على مستقبل أوروبا (ينظر: قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أريدوا أهله. للأستاذ جلال العالم ص ٧٤-٧٧)

ولقد يطرح بعض الأعداء بدائل لهذا الأمر، ويلجئ بعض المسلمين إليها، مثل: الاتحاد في ظل قارة معينة، أو ضمن منطقة محددة، بل قد يطرح بدائل يراها هو، مثل: هيئة الأمم المتحدة، أو ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، وهكذا.

*** وأما بالنسبة للجهاد:** فإنه قد أصبح في هذا العصر من الأحكام الشرعية الغربية، بل المنكرة في نظر الأعداء، كالمستشرقين ومن سار على نهجهم. ولذلك كان تحقيقه من أعسر القضايا.

وإذا كان قد أعلن في بعض المناطق الإسلامية مثل: أفغانستان، وكشمير، وفلسطين، ونحوها. فإنه قد حال دون تطبيقه على الوجه المتكامل عقبات لا حصر لها، سواء من داخل المسلمين أنفسهم، أم من خارجهم.

ولعل في قضية البوسنة والهرسك: أكبر برهان على أن المسلمين على المستوى القيادي غير قادرين على إعلان الجهاد وإعلاء رايته، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً.

وقبل الانتقال إلى نوع آخر من المعوقات لا تفوت الإشارة إلى أن تلك المعوقات السياسية تحتاج إلى جهود طويلة ومتواصلة من أجل تجاوزها: أو تجاوز بعضها.

رابعاً: المعوقات المادية

وكنا عرفنا أن من الأهداف المادية: إعداد القوة لإرهاب العدو، واستغلال الثروات الطبيعية والبشرية.

وأظن - والله أعلم - أن التغلب على العقبات التي تحول دون تحقيق مثل هذه الأهداف أسهل من غيره.

وأن بإمكان المسلمين أن يحققوا هذه الأهداف إذا صدقت النوايا.

وبعد: فإن ما ذكرته من معوقات هو حقيقة مرة، لا بد من الاعتراف بها،
والتغلب على هذه المعوقات أمر صعب، ولكنه ليس بالمستحيل.

بل هو سهل لمن يسره الله عليه.

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

وفي الوسائل السابقة دلالة على طريق الوصول إلى الهدف والتغلب على كل
معوق، على أن مما ينبغي التأكيد عليه والإشارة إليه: أن الإنسان ليس مسؤولاً
عن النتائج، ولكنه مسؤول عن العمل.

على المرء أن يسعى إلى الخير جهده وليس عليه أن تتم المقاصد

المبحث الثاني

أثر الوحدة في مواجهة التحديات الحضارية

مدخل:

إذا عرفنا ذلك التصور الشمولي الموجز عن الوحدة، من حيث مفهومها
ومنزلتها في الشريعة، ثم أسسها وأهدافها ووسائلها، وأخيراً المعوقات في
طريق الوحدة، وكيفية التغلب عليها.

فإن هذه الوحدة إذا تحققت بصفة كاملة - وحتى جزئية - فلا بد أن يكون
لذلك أثره في مواجهة التحديات الحضارية التي تعيشها الأمة المسلمة.

ولا بد من التسليم - هنا - بأن الأمة تواجه تحديات رهيبية على كافة الأصعدة،
وليس ذلك وليد العصر، بل هو قديم، قدم الصراع بين الحق والباطل.

ويخطيء من يظن بأن هذه التحديات تفرض على المسلم الخنوع والاستسلام
للولوع الأليم، أو يظن بأنه - بصفته فرداً - لا قبل له في مواجهة هذا التحدي،
أو لا مكان له في خريطة الصراع هذا، فالفرد مع الأفراد يساوي مجتمعاً
متكاملاً.

ووفقاً للتقسيمات السابقة نعرض هذه الآثار في المطالب الآتية:

المطلب الأول

أثر الوحدة في مواجهة التحديات الفكرية

إن الأمة تواجه تحديات فكرية منظمة، تختلف في صورها وأساليبها ووسائلها، ولكنها تلتقي عند هدف واحد، أو أهداف متقاربة، هي إخراج الناس من دينهم أو تشكيكهم فيه.

يقول الله عز وجل: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾^(١).

ويقول: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾^(٢).

ويقول: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٣).

ويقول: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾^(٤).

ومن هذه التحديات الفكرية:

- ١ - التنصير، وما يقوم به من جهود ضخمة لتنصير الناس، ولا سيما من المسلمين، وقد انتشرت مؤسسات التنصير في شتى الأقطار، وقد تكون هذه الجهود ظاهرة غير خفية، بل معترف بها في بعض بلاد المسلمين. كما قد يكون بعضها خفياً، وبأساليب وحيل ماهرة^(٥).

(١) البقرة/ ١٢٠

(٢) النساء/ ٨٩

(٣) البقرة/ ١٠٥

(٤) القلم/ ٩

(٥) هناك عشرات الكتب والأبحاث التي درست هذه المشكلة، ويمكن الرجوع إلى: «التبشير وأثره على البلاد العربية والإسلامية» للدكتور/ أحمد البساطي، و«التبشير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل علاجه» للدكتور/ علي النملة

٢ - الاستشراق: ويقوم بأعمال ذات طابع علمي، يخدم الفكر النصراني، أو اليهودي في جملته^(١).

٣ - المنظمات اليهودية الإلحادية: كالماسونية والوجودية.

٤ - التيار العلماني.

٥ - الفكر الخرافي الذي تتبناه طرق وطوائف كثيرة داخل المجتمعات الإسلامية.

٦ - تغريب التعليم والتربية.

٧ - تيار ما يسمى بالفكر التنويري أو العقلاني الذي يبثه العلمانيون لمحاربة الدعوة الإسلامية^(٢).

فكل هذه التحديات ونحوها تقف في وجه الدعاة والمصلحين وأهل العلم والفكر من ذوي الاتجاه السليم. والتصدي لها يحتاج إلى جهود مخصصة ومركزة ومنظمة.

ولقد يكون من المتعذر أن يتغلب هؤلاء العلماء والمصلحون على هذه التحديات ما داموا متفرقين.

ولكن التعاون والتضامن والاتحاد كفيل - بعون الله - في القضاء على هذه التحديات.

وسينقلب الأمر - عندئذ - رأساً على عقب، فيتحول الإسلام ودعائه إلى قوة فكرية هائلة، تتضاءل أمامها كل قوى الشر.

وهذا ما يؤكده تاريخ المسلمين المضيء خلال أكثر من عشرة قرون مضت، حينما كانوا يداً واحدة، ودولتهم واحدة، أو شبه واحدة.

(١) ينظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د.حمدي زقزوق، ورؤية إسلامية للاستشراق. د.أحمد غراب، والاستشراق والمستشرقون: د. مصطفى السباعي

(٢) ينظر: العصرية في حياتنا الاجتماعية: للدكتور عبدالرحمن الزبيدي، والعقلانية غواية أم هداية: للأستاذ عبدالسلام بسيوني

فقد كان فكر المسلمين - على الرغم مما شابه من الغش - هو المهيمن والمتجذر في شتى المعارف والثقافات.

أما الأفكار الدخيلة فلم يكن لها انتشار واسع، بل كانت محاصرة في جملة الأمصار والأعصار.

المطلب الثاني

أثر الوحدة في مواجهة التحديات الاجتماعية

ما أكثر التحديات التي تواجه الأمة حتى في عقر دارها.

وإن التحديات الاجتماعية من أوضح الشواهد على ذلك.

فالقضايا الاجتماعية اختلطت بأمور غريبة عنها داخل الجماعة المسلمة، بدءاً بالفرد، فالأسرة، فالقبيلة، فالمجتمعات الصغيرة، ثم الكبيرة، والعلاقات فيما بينها.

ولعل من أشد التحديات الاجتماعية: تلك المفاهيم الاجتماعية الغريبة التي فرضت وجودها في المسلمين، كالحرية الفردية غير المنضبطة، ودعوى مساواة المرأة بالرجل في كل شيء، ومشكلة التشبه بالأجنبي وما نتج عن ذلك كله من مفاسد.

ومن هذه المفاسد:

- ممارسة ألوان الكفر والفسوق والعصيان.
- إعلان الكفر البواح.
- انتشار الشذوذ الجنسي.
- كل ذلك ونحوه باسم الحرية الشخصية.
- وخروج المرأة من بيتها وفق هواها.
- ومعاشرتها من تريد.

- وعملها في أي مجال تريده.
 - ومنع تعدد الزوجات، بل الطلاق.
- كل ذلك ونحوه باسم المساواة بين المرأة والرجل، أو باسم تحرير المرأة.
- ثم التقاليد الجاهلية التي شاعت وانغrust في النفوس، وذلك بسبب التبعية المطلقة، والانقياد للأجانب.

ولقد يصعب على مريدي الإصلاح أن يقضوا على مثل هذه الظواهر الاجتماعية - بل سيكون متعذراً - ما لم يكن التعاون والتضامن والاتحاد.

فإذا حصل التفاهم والتعاون بين أفراد المجتمع انحسرت الرذيلة، وانقطعت مواردها وأسبابها، وحلت محلها الفضائل والمحاسن، وشاعت الأخلاق الكريمة.

ولا شك أن من أعظم الوسائل في الوصول إلى ذلك: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولأهميته أصبح ركنا ركينا في الإسلام، وعموداً من أعمدته، وجاءت النصوص الشرعية المؤكدة لذلك.

وحسبنا قول الحق تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٧١) (١).

فهذه صفة المؤمنين: موالاة ومناصرة فيما بينهم، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وطاعة لله تعالى ورسوله (٢).

وبهذا يظهر أثر الاتحاد والتناصر والتعاون في مواجهة التحديات الاجتماعية.

(١) التوبة/ ٧١

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٣٨٢/٢

المطلب الثالث

أثر الوحدة في مواجهة التحديات السياسية

هذا النوع من التحديات من أبرز ما يظهر للعيان أمام الناس، فالعدو لا يآلو جهداً في ضرب الإسلام وأتباعه.

قال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَسِيقُونَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٢).

ولقد أخبر النبي ﷺ فيما رواه عنه ثوبان مولى رسول الله ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة على قصعتها، قال: قلنا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: أنتم يومئذ كثير. ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن، قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: حب الدنيا، وكرهية الموت.» (٣)

قال العلامة ملا علي قاري شارح الحديث: «يوشك الأمم: أي يقرب فرق الكفر والضلالة أن تتداعى عليكم، أي: يدعو بعضهم بعضاً لمقاتلتكم، وكسر شوكتكم.

كما تداعى الأكلة: أي كما يدعو أكلة الطعام بعضهم بعضاً إلى قصعتها. أي التي يتناولون منها بلا مانع ولا منازع، فيأكلونها عفواً صفواً.» (٤)

(١) التوبة / ٨

(٢) التوبة / ٣٢

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢٧٨/٥ واللفظ له، وأبو داود في سننه: كتاب الملاحم، الحديث رقم

٤٢٧٦ يراجع: سلسلة الأحاديث الصحيحة ج/٩٥٨

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٩٨/١٠ بشيء من التصرف

حقاً، ذلك واقع حال المسلمين اليوم، ولا أظنني بحاجة إلى مزيد شرح لهذه الحال المؤلمة، فهام المسلمون في معظم الأقطار يواجهون التحديات السافرة الصارخة من أعداء الملة، تحت مظلات أو شعارات خادعة، باسم هيئة الأمم المتحدة، وباسم تقرير حقوق الإنسان، أو تصدير الديمقراطية إلى بلدان ما يعرف بالعالم الثالث، وها هم المسلمون يقفون عاجزين عن مواجهة هذه التحديات.

وسيكونون كذلك ما لم يتعاونوا ويتضامنوا ويتحدوا.

وصدق الله القائل: ﴿وَلَا تَنْزَعُوا عَنْهُمْ أَفْئُسَهُمْ وَتَذَهَبَ رَيْحُكُمْ﴾^(١).

ولو أنهم تعاونوا وتأزروا لأدركوا مبتغاهم مهما كان فيهم من ضعف، ومن الأمثال الانجليزية المشهورة: «إذا اتحدت الأشياء الضعيفة أصبحت قوية.»

والتاريخ يحدثنا بصدق عن هذه الحقائق، فحينما كان المسلمون قوة واحدة متضامنة متآزرة - خلال قرون طويلة مضت - فتحت الدنيا أبوابها لهم، فدخلوها أعزة متواضعين، وتفتحت من ثم العقول، وتهيأت القلوب لاستقبال نور الله وهديه، وبقي الكفر ذليلاً، ومعه أهله مستسلمين.

ولم يكن ذلك خاصاً بالقرن الأول، بل امتد ذلك قروناً في أكثر عهود الدولة العباسية والمماليك والعثمانيين.

ثم حينما تفرق المسلمون وكثرت دويلاتهم وقضي على رمز - وحدتهم - وهو ما كان يسمى بالخلافة - حصل ما حصل، والله المستعان.

وما أحسن قول معن بن زائدة:

كونوا جميعاً يا بني إذا اعترى خطب ولا تتفرقوا أفراداً
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت آحاداً

(١) الأنفال/ ٤٦

المطلب الرابع

أثر الوحدة في مواجهة التحديات المادية

أجل، إنها تحديات تلو تحديات

والمجالات المادية الدنيوية هي نوع من التحديات دون ريب، ولها أهميتها التي لا تنكر، ويخطيء من يظن أنها هامشية لا أثر لها على المسلمين. فهل ينكر أحد أهمية الاقتصاد وأثره في التقدم الحضاري؟ وهل ينكر أهمية الصناعة والتجارة؟ وهل ينكر أهمية تطور الأساليب الإدارية؟ كلا، إن كل ذلك أمر معتبر.

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل والناظر في خريطة العالم الإسلامي يجد أنه - في جملته - من أكثر العوالم التي تعاني التأخر والتخلف، وهو يشكل النسبة الكبرى مما يسمى بالعالم الثالث.

ومن مظاهر التحديات:

- ١ - الفقر المدقع في أكثر بلدان المسلمين^(١).
 - ٢ - الديون الخارجية الضخمة التي لا تكاد تحصى، بل تزداد يوما بعد يوم^(٢).
 - ٣ - التخلف الصناعي والزراعي.
- ولعل في التكامل الاقتصادي بين المسلمين - الذي ذكرته من قبل - ما يعين على تخطي هذه العقبة والوقوف في وجه هذا التحدي.

(١) ينظر الحرمان والتخلف في ديار المسلمين للدكتور/ نبيل الطويل ص ٢٧، سلسلة كتاب الأمة
(٢) لمن أراد التفاصيل يمكنه الرجوع إلى كتاب مديونية العالم الإسلامي/ أبو المجد حرك. سلسلة الدين المعاملة

الخاتمة

إذا كان لكل بداية نهاية وخاتمة .

فإنني أختم هذه الورقات بتنبيه ورجاء :

* أما التنبيه فإلى مسألة خطيرة ذات صلة وثيقة بالموضوع .

ذلك أن بعضاً قد يفهم من الاتحاد والتقارب والتآلف أنه قيمة إنسانية عامة ، يجب أن يتعامل بها الناس كلهم - على اختلاف مللهم - سواء في ذلك المسلمون والنصارى واليهود والملحدون والمشركون ، ومن هنا يرددون أو ينادون بالشعارات التي ترفعها المنظمات المشبوهة : كالتعايش السلمي ، والأسرة الدولية ، والإنسانية ، والعالمية ، أو تعايش الثقافات ، وزمالة الأديان ، ولعل من أحدثها : النظام العالمي الجديد .

وما علم هؤلاء المنادون من أبناء الإسلام أن هذه النداءات وتلك الشعارات ذات مضامين إلحادية - أيا كانت مظاهرها - لأنها تسعى إلى إذابة الأديان وإلغائها .

ولئن كان ذلك مستحيلاً ، لكن يكفي أن يوجد في المسلمين من يؤمن بها ويلهث وراءها ، وينفث سمومها بين المسلمين .

ولقد تظهر تلك الدعوات بمظهر إنساني بحت ، فحواه التعاون في أمور الحياة بغض النظر عن الدين ، ولكن الحقيقة واحدة ، والهدف واحد^(١) .

فإلى أصحاب الضمائر الحية والقلوب المؤمنة أوجه النظر إلى ذلك ، وأدعوهم إلى أخذ الحيطة والحذر من مكر العدو وكيده .

ولتكن الوحدة والتقارب والتآلف والتحاب بين المسلمين خاصة .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ (١٣) ﴿٢﴾ .

(١) يراجع : صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم : للشيخ عبدالرحمن الدوسري ٢٦٢/٤ فما بعدها

(٢) آخر سورة الممتحنة

* وأما الرجاء فإلى علماء المسلمين ودعاتهم:

فأنتم مفاخر الأمة، وقدوة الناس، وقادتهم إلى طريق الحق والصلاح.
وأنتم المرجع في حالات الخلاف والشقاق، والاشتباه والارتياب.
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
فهل نطمع في جمع الكلمة، وتوحيد الصف، وأنتم في معزل؟
كلا.

وهل نطمع في اجتماع للشعوب المسلمة وأنتم مختلفون؟
كلا.

فمنكم - إذن - يبدأ العمل، وإليكم ينتهي.
والله الموفق، والمسؤول أن يجمع كلمة المسلمين على الحق، ويؤلف بين
قلوبهم. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

خلاصة البحث

(الوحدة بين المسلمين، وأثرها في مواجهة التحديات الحضارية)
الاتحاد بين المسلمين وتآلفهم وتعاونهم على البر والتقوى مطالب شرعية مؤكدة، جاءت الشريعة بترسيخها في النفوس، وتعزيزها في عالم الواقع.
فإذا كان المسلمون أمة واحدة، وذمتهم واحدة، وقبلتهم واحدة فهم أجدر الأمم على التقارب، بل على الاجتماع والاتحاد.
وقد أصبحت هذه القيم أحلاماً في عالم اليوم، إذ لا يكاد المسلم يقف على شيء من ذلك، اللهم إلا ما قد يتصوره ذهنه في عالم الخيال، أو يترأى له في الأحلام، أو يستذكره في تاريخ المسلمين في القرون الإسلامية الأولى.
نعم بقي أمور من مقومات الوحدة، قد تكون دافعاً إلى الاتحاد الشامل والحقيقي، مثل: الانتماء الإسلامي، والحج، والقبلة.
فهل يستطيع ذوو الحل والعقد والعقل والنهي من المسلمين أن يعيدوا تلك الوحدة الحقيقية؟ ذلك ما نتمناه.
وفي هذا البحث الموجز محاولة لإعطاء تصور شامل للوحدة بين المسلمين: مفهوماً، وأهميتها، وأسسها، وأهدافها، ووسائل تحقيقها، ومعوقات وجودها، ثم أثر هذه الوحدة في مواجهة التحديات الحضارية، التي أخذت تفرض وجودها في المجتمعات الإسلامية، وعلى كافة الأصعدة.
فلعل مثل هذا البحث يساعد على التفكير في هذه القضية المصيرية.

قائمة بأبرز المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب

- بين القومية والإسلام. الأستاذ أبو الأعلى المودودي ضمن كتاب «طائفة من قضايا الأمة الإسلامية في القرن الحاضر» دار الرشد - الرياض.
- تفسير القرآن العظيم. ابن كثير، دار المعرفة، بيروت.
- التكافل الاجتماعي في الإسلام. الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
- التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية. الدكتور إسماعيل شلبي، من مطبوعات: الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية.
- تنظيم الإسلام للمجتمع. الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. الشيخ عبدالرحمن السعدي، تحقيق محمد النجار.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن. المعروف بتفسير الطبري، للطبري، دار الفكر ١٤٠٥هـ.
- الجامع الصحيح للإمام البخاري. مع فتح الباري لابن حجر، بترقيم محمد فؤاد عبدالباقي.
- الجامع الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج. بترقيم محمد فؤاد عبدالباقي.
- الحرمان والتخلف في ديار المسلمين. الدكتور نبيل الطويل، سلسلة كتاب الأمة.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة. الشيخ الألباني، المكتب الإسلامي.
- سنن أبي داود. للإمام أبي داود السجستاني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.
- سنن الترمذي. للإمام أبي عيسى الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر.
- سنن ابن ماجه. للإمام ابن ماجه، بترقيم محمد فؤاد عبدالباقي.
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار. الشوكاني، تحقيق محمود زايد، دار الكتب العلمية.

- الشعوب الإسلامية ووسائل التقريب بينها. الدكتور مقداد يالجن، سلسلة: من ينابيع الثقافة. من منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم، الطبعة الأولى.
- العصرانية في حياتنا الاجتماعية. الدكتور عبدالرحمن الزنيدي، دار المسلم.
- غياث الأمم في التياث الظلم. لإمام الحرمين الجويني، تحقيق عبدالعظيم ديب، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل. ابن حزم، دار المعرفة، بيروت.
- في ظلال القرآن. سيد قطب، دار الشروق.
- قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله، جلال العالم، دار السلام للطباعة والنشر.
- القاموس المحيط. للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة.
- لباب التأويل في معاني التنزيل المسمى «تفسير الخازن» للخازن دار المعرفة، بيروت.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. للهيثمي، دار الكتاب العربي.
- مديونية العالم الإسلامي. أبو المجد حرك، سلسلة الدين المعاملة.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. ملا علي قاري، المكتبة الإمرادية.
- المسند. للإمام أحمد، دار الفكر، والمكتب الإسلامي، بيروت.
- المصباح المنير. الفيومي، المكتبة العلمية.
- المعجم الفلسفي. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عالم الكتب، بيروت.
- المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
- المفردات في غريب القرآن. الراغب الأصفهاني، دار المعرفة.
- الموطأ. للإمام مالك بن أنس. تصحيح وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، كتاب الشعب.
- الموسوعة العربية الميسرة. بإشراف محمد شريف غربال، دار الشعب.
- الوحدة الإسلامية. الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.